مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠١١/٣٧

الأحد ١١ أيلول ٢٠١١

الأحد قبل رفع الصليب

تذكار أمنا البارة ثاوذورة الإسكندرية والقديس إفروسينوس الطبّاخ

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الثاني

الرسالة

(غلاطية ٦: ١١-١٨)

يا إخوةُ انظروا ما أعظم الكتاباتِ التي كتبتُها إليكم بيدي* إنّ كلَّ الذين يريدون أن يُرضوا بحسب الجسد يُلزمونكم أن تختتِنوا وإنَّما ذلك لئلا يُضطهدوا من أجل صليبِ المسيح* لأنَّ الذين يختَتِنون هم أنفسهم لا يحفظون الناموسَ بل إنّما يريدون أن تختتِنوا ليفتخروا بأجسادكم* أمَّا أنا فحاشا لي أن أفتَخِرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ الذي به صُلب العالم لي وأنا صُلبت للعالم* لأنَّه في المسيح يسوعَ ليسَ الخِتانُ بشيءٍ ولا القلَفُ بل الخليقةُ الجديدة* وكلُّ الذين يسلُكون بحسبِ هذا القانونِ فعليهم سلامٌ ورحمةٌ وعلى إسرائيل الله* فلا يجلب عليَّ أحدٌ أتعاباً فيما بعدُ فإنّي حاملٌ في جسدي سماتِ الربِّ يسوع* نعمة ربّنا يسوع المسيح مع روحكم أيُّها الإخوة، آمين.

حمل الصليب

قال الرب يسوع: «مَن أراد أن يأتيَ ورائي فليُنكر نفسه ويحمِلْ صليبَه ويتبعْني. فإنَّ مَن أراد أن يُخلصَ نفسَه يُهلِكها ومَن يُهلِكُ نفسَه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يُخلّصُها. لأنَّه ماذا ينتفعُ الإنسانُ لو ربح العالم كلَّه وخسِر نفسه أو ماذا يُعطي الإنسانُ فِداءً عن نفسِه. لأنّ مَن استحى بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسِقِ الخاطئِ فإنَّ ابنَ الإنسانِ يستحي به متى جاء بمجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القدّيسين» (مر ٨: ٣٤-٣٨).

حملُ الصليب لا يعني أن نضع صليباً حول رقابنا. نحن نضع في بعض الأحيان صليباً كبيراً فقط لكي نتباهى بأننا مسيحيون وفي الوقت نفسه لا نكون نعرف شيئاً عن المسيح أو المسيحية. في الطروبارية (الترنيمة) التي نرتّلها للأبرار يقترن حمل الصليب بالعمل والتعليم إذ نقول: «بك حُفِظَت الصورة باحتراس وثيق... لأنّك قد حملت الصليب فَتبعتَ المسيح وعملت وعلّمت أن يُتغاضى عن الجسد لأنّه يزول ويُهتمَّ بأمور النفسِ غير المائتة...». كيف نحمل الصليب نحن في أيامنا الحاليَّة؟

نشعر في كلّ مرحلة من حياتنا بأنّ «نوعيّة» صليبنا و«حجمه» يتغيّران. فالتلميذ يقول بأنّ المدرسة هي عبءٌ عظيمٌ لا يقدر أن يحتمله، ومتى أصبح في الجامعة يحسّ بأنّ المدرسة لم تكن همًّا يُذكر أمام ما عليه فعله الآن، ثم تنتهي فترة الدراسة ويأتي وقت العمل فإنشاء عائلة إلى جانب كلّ الهموم والمصاعب التي ترافق ذلك، وتأتي الشيخوخة فيبدأ إحساس اقتراب النهاية والشعور بأنّ هذا هو أكبر همٍّ إلى الآن وكل ما سبق لا يقارن به. هذه الهموم ندعوها بلغتنا البشريَّة «صليباً» لأنّ فكرة أنّ الصليب هو أداة تعذيب راسخة في أذهاننا.

غالباً ما ننسى أنّ بعد الصليب تأتي القيامة، وأنه علامة فرح لا موت وتعذيب. وبما أنّ المسيحيّة تقوم على رجاء القيامة (كما نقول في دستور الإيمان) حينئذٍ يمكننا اعتبار أنّ مسيحيَّتنا هي شهادتنا وصليبنا الباعث إلى القيامة الذي نحمله ونعلّم عنه ونعمل بروحيَّته.

لماذا نُعرِّف آلامنا وليس أفراحنا بعبارة «الصليب»؟ عندما نعي أنّنا

الإنجيل

(يوحنا ٣: ١٣–١٧)

قال الربُّ لم يصعد أحدٌ إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء ابن البشر الذي هو في السماءِ* وكما رفع موسى الحيَّةَ في البريَّة هكذا ينبغي أن يُرفَعَ ابنُ البشر* لكي لا يهلكَ كلُّ مَن يؤمنُ به بل تكونُ له الحياةُ الأبدية* لأنّه هكذا أحبَّ اللهُ العالمَ حتى بذلَ ابنَه الوحيد لكي لا يهلِكَ كلُّ مَن يؤمنُ به بل تكونُ له الحياةُ الأبدية* فإنَّه لم يرسل اللهُ ابنَه الوحيد إلى العالم ليدينَ العالمَ بل ليُخلِّصَ به العالم.

تأمل

«أما أنا فحاشى لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربِّنا».

لقد وضع الله فينا قوىً كبيرة كما وضع أيضاً ضعفات كثيرة. هكذا، بالقوى تُمجَّد حكمته وبالضّعفات يتقلّص كبرياؤنا. لقد أعطانا، على سبيل المثال، لساناً يتكلّم على ربّ الكون ويرتّل له ويسبّحه ويُخبر عن روعة الخليقة، يتحدّث عن الأمور الدنيوية والسماوية، الموقّتة والأبديّة، كلّ هذا بالرغم من أنّه جزء صغير من اللحم، لا يتجاوز حجم أصبعين. ولكي لا يعتقد اللسان أنّه شيء مهم بالصليب نفتخر وبالقيامة نحيا عندئذٍ نعتبر أنَّ كلَّ ألمٍ يصيبُنا هو قيامةٌ لنفوسنا. ألا يمكننا اعتبار مرض عضال طريقاً إلى القيامة إذا أعاد المريض الذي لا يصلّي إلى الصلاة؟ ألا يمكننا اعتبار رقاد أحد أحبَّائنا قيامةً إذ يهزُّ دواخِلَنا ويجعلنا نقترب مجدداً من الله بعدما نكون قد تركنا دروبه وأدَرنا ظهورنا لتعاليمه؟ أليست قيامة عندما يتعب المعلّمون في سبيل إيصال العلوم لتلاميذهم بروح من المحبّة ويرون هؤلاء التلاميذ ينمُون بالقامة والفهم وبدورهم يبثُّون الروح نفسه في سواهم فيقترن العمل والعلم والمحبّة لإيصال المسيح للجميع؟ ما نتحدَّث عنه هو أنَّ كل ما نعتبره ألماً وعذاباً يمكنه أن يكون باعثاً إلى القيامة في الوقت نفسه على مثال الصليب.

من ناحية أخرى نجد الصليب يدخل في كل زوايا حياتنا، فهو الحارس والعضد لنفوسنا وأجسادِنا وبيوتِنا وسيَّاراتِنا... يرافقنا الصليب منذ المعمودية عندما ينفخ الكاهن في وجوهِنا بشكل صليب طارداً «كلّ روح شرير معشّش ومخفيّ» وعندما يغطّسنا على شكل صليب لنموت ونقوم مع المسيح ثم نُختَم بـ«ختم وموهِبة الروح القدس» على شكل صليب وفي النهاية يوضع الصليب حول أعناقِنا، يرافقنا حتى الرقاد حيث يزيِّن الصليب نعوشنا عندما نموت ثم يوضع على صدورنا الزيت والتراب على شكل صليب. وما بين المعمودية والرقاد لا يمكننا أن نحصي المواضع التي يدخل فيها الصليب في حياتنا ولكن يمكننا القول إننا نتحوّل إلى حَمَلَةِ صليب سائرين نحو القيامة منذ ولادتنا في الكنيسة بالمعمودية وتصبح مهمّتنا المحافظة على هذا الصليب كسلاح للظفر على الشيطان والأهواءِ والآلام.

في النهاية، نطلب إلى الله أن يبقينا واعين أنّ الصليب في حياتنا هو «سيف قاطع قرون الأبالسة ومبدأ خلاصنا وطريق مؤدٍّ إلى المساكن السماوية» كما نقرأ في قانون الصليب الكريم.

القديس إفروسينوس الطبّاخ

تعيِّد كنيستنا المقدَّسة في الحادي عشر من شهر أيلول للقديس إفروسينوس الطبَّاخ. كان هذا القديس راهباً في أحد أديرة فلسطين، وكان عمل طاعته أن يهتمّ بالطبخ. على الرغم من أنّه عمل كادِحاً من أجل الإخوة، إلاّ أنّه لم يُبعد فِكرَه عن الله، مُحافظاً على نفسه بالصلاة والصوم. لم ينسَ أبداً أنّ الطاعة هي عمل الراهب الأول، لذلك كان مطيعاً للإخوة الأكبر منه.

صبرُ القديس كان عظيماً: غالباً ما كانوا يوبِّخونه لكنّه لم يكن يشتكي بل كان يحتمل كلَّ إساءة. أرضى القديس إفروسينوس الربَّ بفضائله الداخلية التي أخفاها عن العالم، غير أنّ الربَّ أظهر لأخويَّة الدير السموَّ الروحي الذي كان يخفيه أخوهم المتواضع.

في أحد الأيام، صلّى واحدٌ من كهنة الدير سائلاً الربَّ أن يريه البركات المُعدَّة للصدّيقين في الدهر الآتي، فرأى الكاهن في حلم شكلَ الملكوت فتأمَّل ذلك الجمال الذي لا يوصف بفرح ورعدة معاً. إلى ذلك، رأى الكاهن واحداً من رهبان ديره وهو الطبَّاخ إفروسينوس. وإذ فوجئ بهذه المصادفة، سأل الكاهن إفروسينوس عن كيفيّة وصوله إلى

ويتكبّر بسبب الإمكانات التي منحه إيّاها الله، فإنّ الله يسمح مرّاتٍ كثيرة بأن ينجرح أو يتورّم، وهكذا يتعلّم أنه في الوقت الذي يستطيع فيه أن يتكلّم على أمور خالدة، فإنه يبقى هو نفسه مائتاً. أمّا الله الذي يعلن عنه فهو كلّي القدرة، بينما هو فإنّه ضعيف.

لقد أعطانا خالقنا العين أيضاً، هذا البؤبؤ الصغير، الذي به نرى الخليقة كلها. ولكي لا تتكبّر العين وهي تملك مثل هذه القدرة العجيبة، فإنّها كثيراً ما تُصاب بأمراض مختلفة تُنقص الرؤية أو تبرّدها، وهكذا تعرف ماهيّتها في الحقيقة، وتتعلّم أن تمجّد الخالق من خلال الخليقة المنظورة.

فكّر الآن بأنّ الإنسان، مع أنّه يحمل كلّ هذه الضعفات، إلاّ أنّه كثيراً ما ينسى بؤسه أو يتمرّد بوقاحة ضدّ المحسن إليه. إلى أين كان سيوصله كبرياؤه لو كان معتقاً كلّياً من ضعفاته هذه!؟

إذاً، ضع أيّها المتكبّر في ذهنك جيّداً أن قريبك الذي لا تتقبّله ولا تريد رؤيته هو إنسان مشابه لك ومتساوٍ معك. هل هو فقير وأنت غني؟ هل هو أمّي وأنت متعلّم؟ هل هو لا قيمة له وأنت ممجَّد؟ ما معنى هذه الأمور الموقّتة والباطلة؟ أليس قريبك صورةً عن الله أيضاً؟

هذا المكان فأجابه بأنّه وصل إلى الفردوس من خلال رحمة الرب الغزيرة. طلب الكاهن إلى إفروسينوس إذا أمكنه أن يعطيه شيئاً من ذلك الجمال المحيط به، فقال له إفروسينوس أن يأخذ ما يشاء، فأشار الكاهن إلى ثلاث تفاحات شهيَّة أثمرت في حدائق الفردوس، فقطف الراهب هذه التفاحات ولفّها بقطعة قماش ثم ناولها لرفيقه (هذه الحادثة تصوِّرها أيقونة القديس حيث نجده واقفاً وفي يده غصنٌ عليه ثلاث تفاحات).

عندما استيقظ باكراً في صباح اليوم التالي، حسب الكاهن أنّ الرؤيا كانت مجرّد حلم، لكنّه سرعان ما انتبه إلى وجود قطعة قماش إلى جانبه تحتوي في داخلها على ثمار الفردوس التي يفوح منها شذىً عطرٌ جدًّا. بحث الكاهن عن القديس إفروسينوس إلى أن وجده في الكنيسة فاستحلفه سائلاً إيّاه أين كان الليلة الماضية، فأجابه بأنّه كان حيث كان هو، ثم أردف قائلاً إنّ الرب استجاب صلاة الكاهن وأراه الفردوس ومنحه من ثماره بوساطته هو «عبد الله الحقير وغير المستحق إفروسينوس».

أخبر الكاهن أخويّة الدير بكل ما حدث، مشيراً إلى السموّ الروحي الذي يتحلّى به القديس من خلال إرضائه لله، كما أراهم الثمار الفردوسيّة المفيضة الطيب. تأثّر الجميع بما سمعوه وأسرعوا إلى المطبخ ليعبّروا عن احترامهم لإفروسينوس فلم يجدوه هناك لأنّه كان قد هرب من الدير خوفاً من المجد الباطل، وبقي المكان الذي هرب إليه مجهولاً.

في أيّامنا الحالية، يستشفع الرهبان المسؤولون عن الطبخ في الأديرة القديس إفروسينوس الطباخ ولا يخلو أيّ مطبخ دَيريٍّ من أيقونته، كما نجدهم يتلون صلاة خاصةً قبل الطبخ طالبين إلى الله أن يضع بركته في ما يُطبَخ، وحسناً نفعل بتعلُّمنا هذه الصلاة كي تُبارِك يد الله كلَّ شيء نقوم به حتى الطبخ. نصّ الصلاة هو التالي: «المجد لك أيُّها الإله الأزلي مبدع الكل بمحبَّته وصلاحه، يا مَن يُنعِم علينا بهذه الخيرات السماويّة والأرضية المتنوعة ويرزق الكل من فيض بركاته، أهِّلني أن أُهيِّئ بالماء والملح والنار ما وهبتنا من مأكل بانسجام وتوافق واعتدال لكي يكون تشديداً لنفوسنا وأجسادنا فنسبِّحك بنشاط وشكر وسرور يوماً فيوماً. وأعطِنا بالحريِّ أن نهيِّئ نفوسنا مسكِناً لروحك القدوس فنشبع من تبريكك وتسبيحك كما من شحم ودسم صانعين مشيئتك في كلِّ حينٍ بشفاعات والدة الإله وجميع القديسين لأنَّك لم تزل مباركاً كلّ حين الآن وكلَّ أوانٍ وإلى دهر الداهرين، آمين».

في القداس الإلهي

يروي القديس غريغوريوس المحاور بابا رومية (٥٩٠–٦٠٤) أخباراً وجيزة عن العضد الذي يمكن أن يكونه القداس الإلهي للمسيحيين الذين تُذكر أسماؤهم خلاله على مذبح الرب:

كان إنسانٌ مسبيٌّ يعيش بعيداً عن أهله مقيَّداً بأغلالٍ ثقيلة، وقد اعتادت زوجته، في أيّامٍ محدَّدة، أن تطلب إقامة قداسٍ إلهيٍّ من أجل خلاصه.

عاد الرجل المسبيُّ إلى وطنه بعد مرور عدَّة أعوام على أَسْرِه، فأخذ

لماذا إذاً تحتقره؟ ألا تُدرك أنّك في شخصه تحتقر الله نفسه؟ لماذا لا تخدمه، ولا تعتني به، ولا تكرّمه؟ أعرف لماذا، لأنّك تعتبره أدنى منك. أسألك: كم كان الرسل أدنى من المسيح؟ هم بشر وهو إله، هم أمّيون وهو كلّي الحكمة، هم فقراء جداً وهو غني جداً، لكن الرب تنازل وغسل أرجلهم، أما كان يجب أن تفعل أنت الأمر نفسه على الأقلّ لأقربائك؟ أنت لا تستطيع حتى أن تسمع هذه الأقوال.

إن لم تقتدِ بالمسيح في التواضع، لن يكون لديك مكان إلى جانبه في الحياة الآتية. تالياً، إنّ مصلحتك الأبدية تفرض عليك ألاّ تتباهى بحسناتك وغناك، الأمر الذي تتطلّبه مصلحتك الأرضيّة الموقّتة أيضاً، لأنّ أيّ إنسان لا يثير حسد الآخرين بقدر ما يثيره الغنيّ! عندما يكون الغني متكبّراً حينئذٍ يُمقَت مرتين. على العكس، فإنّ المتواضع يخفّف من الكراهية التي يشعر بها الآخرون نحوه. إضافة إلى ذلك، إن كان رحيماً يربح محبّتهم أيضاً، وهكذا يحافظ على ممتلكاته بأمان أكبر. إنّ التواضع مهمّ جداً، لا يهبنا الملكوت السماوي فحسب، لكنّه يفيدنا في هذا العالم أيضاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يُخبِر زوجته كيف أنّ أغلاله كانت تنحلُّ بطريقة غير منظورة وغريبة في أيامٍ محدَّدة، وهكذا كان ينال بعضاً من الراحة. إعترت زوجته دهشةٌ عظيمة مستنتجةً أنّ الأمر كان يحصل في الأيام التي فيها كان يقام قدّاسٌ إلهيٌّ من أجل خلاصه.

كان بحارٌ مسافراً إلى رومية برفقة «أغاثون» أسقف بانورمو، وخلال الرحلة دخل البحار أحد القوارب المربوطة بحبل إلى مؤخرة السفينة، وفجأة قُطِع الحبل بسبب الأمواج واختفى القارب.

رست السفينة على شاطئ إحدى الجُزر المسمَّاة «أوستيفا»، حيث انتظر الأسقف ثلاثة أيام آملاً بأن يظهر القارب والبحار الذي على متنه. في نهاية المطاف إستسلم الأسقف إلى فكرة أنّ البحار قد غرق، فأوصى بأن يقام قداس إلهي من أجل راحة نفسه.

تابع الأسقف رحلته، وحين وصل إلى مدينة «بورتو» الإيطالية، فوجئ بالبحّار أمامه، وكان فَرَحُه بذلك لا يُوصف، فسأله باستغرابٍ مليءٍ بالحنان: «كيف نجوت من الغرق؟» قال: «يا سيدي القديس، لساعاتٍ طويلة كنت أصارع الأمواج الهائجة. فقد غمرت المياه القارب الذي انقلب رأساً على عقب عدَّة مرَّات، وبعد محاولاتٍ شتّى للتمسُّك به من فوق، خارت قواي وسقطت في الماء، عندئذٍ، وبينما كنت بين نائمٍ ومستيقظٍ، ظهر لي في وسط البحر شخصٌ قدَّم لي خبزاً، فأكلت وتقوّيتُ، ثم عَبَرَتْ بي سفينةٌ فانتشلتني ووضعتني سالماً عند أحد الشواطئ». فسأله الأسقف: «وهل تذكر في أيّ يومٍ ظهر لك ذاك الشخص المجهول الذي قدَّم لك الخبز؟». وملأته إجابة البحار دهشةً، إذ كان ذلك قد حدث في اليوم الذي أقيم فيه من أجله قدّاسٌ إلهيٌّ على جزيرة «أوستيفا».

أمسية ميلادية

تقوم جوقة القديس رومانوس المرنّم في أبرشية بيروت بالتحضير لأمسية ميلادية يتمّ الإعلان عنها لاحقاً. لذلك، تفتح الجوقة أبوابها أمام الراغبين بالإنضمام إليها للمشاركة معها في الأمسية، ممّن تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٥ عاماً كخطوةٍ لإشراك عنصر الشباب في النشاطات الكنسيّة.

على الراغبين بالمشاركة الخضوع لفحص صوت عند الساعة ٦,٣٠ من مساء الأربعاء ٢١ أيلول أو الخميس ٢٢ أيلول ٢٠١١.

مدرسة التنشئة اللاهوتية

يعلن مكتب التربية المسيحية في المطرانية عن استمرار التسجيل للدورة الجديدة ٢٠١١-٢٠١٢ في مدرسة التنشئة اللاهوتية.

افتتاح السنة الدراسية سيكون بصلاة الغروب التي ستُقام عند السادسة من مساء الإثنين ٣ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb